

## قصة قصيرة

# زجاجة طفل حمراء

قصص قصيرة



### حسن هادي الطائي

الديوانية

ما ان اقتربت من بوابة الكنيسة حتى سمعته يتكلم مع نفسه : انت وعدتيني سنذهب معاً للكنيسة في المرة القادمة يا رومين ، حتى ان فادي كان في حضانك عندما وعدتيني بهذا ، الا تتذكري يا رومين ، الا تتذكري ؟ لماذا انا وحدي الان لماذا ... ، انها نفس الكلمات التي سمعتها اكثر من مرة من نفس هذا الشخص وفي نفس هذا المكان ، ماذا يعني من كلامه هذا ؟ ما قصة زجاجة حليب الاطفال الملطخة بلون احمر وهو يمسكها براحة يديه ويلف حولها اصابعه الصفراء ؛ بالرغم من انني لا اجد عادة الفضول بالتدخل في شؤون الاخرين او ادس انفي بما ليس من شأني لكن لا ادري لم اثارني الفضول مع هذا الرجل لاعرف ما وراء كلماته هذه ، حتى ابنتي الصغيرة ياسمين اخبرتني قبل اسبوع انها شاهدت هذا المشهد اكثر من مرة في بوابة هذه الكنيسة عندما تاتي لمراسيم قداس يوم الأحد مع جدتها او عمتها ، في المرة السابقة ظننت انه رجل مجنون لا يعي ما يقول او ما يمسك ، لكن الغريب في الامر لم يصدر منه أي تصرف عشوائي اتجاه الاخرين ولم يزعج اي عابر ، ملابسه نظيفة ، طريقة جلوسه النظامية ومعالم وجهه كلها تحكي ان هنالك شيئاً اخر خلف كل هذا ، بل احببناً يقدم للأطفال قطع الحلوى وباقات من الورد من غير ان يتكلم بشيءٍ غير هذه الكلمات التي يرددھا روما ، عصمت بي رياح الفضول لأجلس بجانبه ، سلمت عليه بابتسامة مصطنعة ، رد علي السلام ، اخرج مندبله ،مسح عينيه ، ثم رجع بقبض زجاجة الحليب بقوة ، سألته عن قصة هذه الزجاجة التي يمسكها بخوتر مُرطوب ولم ملطخة باللون الاحمر ، نظر لي نظرة لا يمكنني نسيانها حتى لو نخر ذاكرتي لمل الزهايمر ، لا اعرف ماذا اسميها ، لا اعرف حقاً كيف اصف هكذا نظرة ، لم تحفل خارطة وجهي مثلها منذ ان ولدت ، اُفوس عنقه ،تلاصقت قديمه ، قبض الزجاجة بوتر حتى كادت تنفجر اوردة ساعديه ، ثم بدأ يتكلم :

لم اذكر يوماً انني خذلت امي و ابي في قرار ما ، حتى تلك الاشياء التي تخص حياتي كنت اتقبل رايهما فيها حتى وان كانت تزعجني بعض البعض ، فامي كانت تسرح خصلات روحى باناملها حينها قبل ان تسرح شعري بيديها وابي كان يحملني فوق اخلامه قبل ان يحملني على كتفه ،حبهم لي واهتمامهم المفع بالحنان جعلني اكون هكذا باراً بهم باستمرار ، الا ذلك الطلـب الاخير الذي الحوا به علي حين قرروا ان يغادروا العراق قبل سبعة اعوام ، حينها كنت في المرحلة الاخيرة بكلية الادارة والاقتصاد ولم يتبق سوى اسابيع واحصل على شهادة البكالوريوس في إدارة الاعمال من جامعة بغداد ، الأوضاع الأمنية كانت مخيفة بعض الشيء ، اغتبيالات متكررة ، عمليات خطف ، تفجيرات وغيرها من الاعمال الارهابية التي تحدث بين ليلةٍ واخرى ، اخر ما حدث عندما تم تهديد بيت خالي اكثر من مرة لمغادرة البلاد او قتله مع افراد أسرته ، كان طبيب جراحة عامة معروف وزوجته مهندسة معمارية لها شهرتها على مستوى عالمي ، خوفهم على سلامة اطفالهم ارغمهم على مغادرة العراق متجهين نحو اوربا ، هذه الحادثة كانت من اهم الاسباب التي جعلت عائلتي يعجلون للهجرة خارج البلد ، اذكر حينها امي قالت لي : حبيبي جوزيف ، لم يبق سوى ايام وتخرج من الجامعة انت وحبيبك رومين وستنكلم مع بيت عمك ليسافروا معنا وتزوجوا هناك ، ماذا تريد بعد ؟ اليس انكما متفقين ان تتزوجوا فور تخرجكم من الجامعة ، ها ، اجبني انن لم كل هذا الرفض ؟ لا زلت اذكر كيف اجبتمت في

# دم الغزال

نجيع دمي يسقي جـدب عواظك وانا لا املك من دنياي الا انت



منك ابكي...وك احابر

رغم الثمر المر الصادر من بستان علاقتي معك...

وحين تنساب الدموع على مذبج حبي تعيريني بالانهزام

قلت لا املك سواك

وانت امامي تبيعين حبك

لكل عابر من تحت نافذة اشتهاك

أنا القيصـر المخدوع

وانت جاريتي التي فتحت باب الخيانة

لاعدائي...

قصص قصيرة

قصص قصيرة

قصص قصيرة

قصص قصيرة

قصص قصيرة

ورومين لتحضير مستلزمات الزفاف وشراء الاثاث وكل متطلبات مراسم الزواج .

بعد عشرة ايام من زواجنا ، توجه ابي وامي واختي عفاف الي مطار بغداد الدولي بعد ان اتصلت باخي رامي ليستعد لاستقبالهم واخبرني انه جهز لهم كل شيء ، كقربة ساق مفقوبة كانت تنساق الدموع من عين امي ، قطرات بلورية لا احب رؤيتها على وجنتيها الجميلتين ،عانتقتني وكانتي طفلهما الذي لا زال رضيعاً ،همست في اذنها اننا سنلتقي قريباً وسيكون معنا حفيدك يا امي ، ضحكت ، مسحت وجهها ، رفعت يديها نحو السماء ودعت الرب ان يسعدنا في حياتنا وان تنزل علينا بركات السيدة العذراء .

بعد مرور عامين على زواجنا انا و رومين اتصل بي صديقي ان هنالك درجات وظيفية في وزارة الداخلية ، كل يوم يزم كان الحب يرتقي اكثر فاكثر بيننا بالرغم من متعضات الحياة التي تجتاحنا بين فترة واخرى ، الضخين الي الازل ، عدم حصولنا على وظيفة بعد تخرجنا من الجامعة ، تاخر رومين باجناب طفلها البكر بسبب بعض المشاكل الصحية في رحمها ، لكن كل هذا كان لا يؤثر في ان تستمر حياتنا بحب وسعادة ، الحب الذي بيننا كان كبيراً جداً بل اكبر من اي شيء اخر في حياتنا ، وبالرغم من عدم موافقتها على التقديم على وظيفة عسكرية حاولت اقناعها انني مجبر فليس هنالك خيارٍ اخر وان خريجي الكليات حتماً سيجعلونهم في مكان جيد بالنسبة للآخرين ، لم تكن رغبتنا من صميم قلبها لكنها لم تمناع بعد ان اخبرتها بهذا .

بعد مرور عام وثمانى اشهر على دوامي في مديرية مكافحة التفجرات في بغداد ، رزقنا الله مولود جعلنا نخلق حياً بجناح هذه الفرحة ، رومين التي انتظرت هذا اليوم منذ اربعة اعوام صُيرت في لحظتها سُعلة من الفرح والبهجة ، انها اصبحت ام بالرغم اني لا زلت ارأها تلك الطفلة الجميلة ، البريئة والقريبة مني، منذ الصغر ، اتصلت بابي لآخرها ان رومين انجبت ولد فحتماً سيكون اسعد خير في حياتها ، وما ان اخبرتها حتى لم تعد تمتلك نفسها من عمق فرحتها ، اذكر في لحظتها انني طلبت منها ان يكون اسم طفلنا البكر من نصيبها وان لا يكون حفيداً مشاعبياً تتبع جدته فيما بعد ، ثم اخبرتني انهم سيأتون للعراق من اجل حفيدهم خلال ايام ، لا زلت اذكر كم كنت فرحاً في تلك اللحظة ، نعم اذكرها جداً .

فادي ، هو الاسم الذي اختارته امي لطفلنا حالما ولدنا ، اخذته في حضنها وهي تضحك له وتلاعبه ، تذكرني كيف كنت مثله بين ذراعيها قبل ثلاثين عاماً ، همست في اذني : كم يشبهك فادي ، انه نسخة منك يا جوزيف ، شكراً لله على هذه النعمة والسيدة العذراء ولبركاتھا على نريتنا .

من اليوم الثالث عشر على لادة فادي بين اهلي ، ضحكات ابي ، بشاشة امي ، مشاكسات عفاف التي اصبحت عمه ، رومين التي لم تعد تحملها الارض من فرحتها ، عمتي شذى راحت تنكي من عمق سعادتها ، في تلك اللحظات كان يجب علي الالتحاق بدوامي مدة اسبوعين ، في مديرتنا لا يوجد شيء اسمه اجازة مهما كان الظرف ، لذا في حينها طلبت من اهلي ان يدقوا معنا الي نهاية الشهر ، امي كانت تلج على ان تذهب معها وتزلت دموعها مجدداً ، احتضنتها وبيدات اسرد لها مشاكساتي معها عندما كنت صغيراً ، ضحكت وقتلت راسي ، دخل علينا ابي واحتضنا معاً ، طلب مني ان اذهب للوم لان غدأ علي ان اصحو من الحجر للذهاب الي الدوام و وعدني انهم باقون هنا حتى اعود .

بعد اسبوع من التحاقني بوجدتي الامنية اتصلت بي رومين ، لا زلت اذكر تلك المكالمة بدقائق تفاصيلها ؛ الو ، حبيبي اشتقتك كثيراً ، ولذك اشتاق لحضنك ، احببت ان اخبرك اننا سنذهب جميعاً بعد قليل الي الكنيسة لحضور قداس يوم الأحد .

في تلك اللحظة قاطعتها قائلاً : انك لا زلت مُتعبة من الولادة وفادي عمره اقل من شهر ، اجلوا مراسم القداس حينما ارجع ونذهب معاً .

ا تذكر كان ردھا علي : حبيبي نحن سنذهب الي كنيسة

سيدة النجاة وانت تعلم انها قريبة جداً علينا ، فانياً اهلك منذ اربعة اعوام لم يزوروا كنيسة سيدة النجاة وهم مشتاقون جداً لآداء مراسم القداس فيها ، حتى جاراتنا ام عباس وام طه سنذهبان معنا ؛ مُماً بعشقان امك ومنذ زمن طويل كانت تذهبان مع امك للكنيسة وانت تعلم بهذا ، جدة فادي تريد ان تنومه في مذبج الكنيسة وتشكر السيدة العذراء لبركاتھا علينا وتوزع الحلوى على الاطفال والمصلين ، في المرة القادمة سنذهب جميعاً للكنيسة يا حبيبي ، صدقني سنذهب معاً عندما ترجع ..

تلعلم ، اطلق شفتيه ، سالت الدموع من عينه رُفعة واحدة ، توقف ، تقوس ، جلس القرفصاء ، طلبت منه ان يهدأ ويكمل كلامه ، نظرت لي مجدداً بنفسك تلك النظرة الاولى وراح يكمل قائلاً : انشاء تلك المكالمة طلبتُ منها ان تعتني بفادي جيد ؛ عمره لا زال صغيراً ويتحسس من اي شيء ، وبعد ما تمنيت لھم ان يكونوا سعداء في زيارتهم وان يدعوا لي ولحبيبنا بغداد بالسلام والامان انهيته رومين المكالمة لان الازل كانوا ينتظروھا في الخارج .

بينما يحذنتي ضابط الاستخبارات من اي فرحته بمولودي ووعدي انه سيرونا ويجب معه هدايا الي فادي ،رن جهاز اتصال المناداة ان هنالك معلومات استخباراتية تشير الي وجود شيء خطير ، نادى بجهازه الخاص على الجميع الاستعداد للواجب والاطلاق فوراً ، سألته : سيدي ما الخبر ، ماذا هناك ؟ صرخ في وجهي : ليس وقت أسئلة ، هيا حركوا عجلاتكم بسرعة ، وانت يا جوزيف تعال معي .

لم يسبق ان تحركنا لواجب بهذا العدد والتجهيز ، امر الجميع بالاطلاق نحو الكرادة باقصى سرعة ، اخبر الضباط ان لم نصل في الوقت المناسب سنحصل كارثة في كنيسة سيدة النجاة ، ما ان سمعت هذا صرختُ بوجه الضابط : ماذا هناك في الكنيسة ، ارجوا اخبرني ، عائلتي جميعها ذهبت للكنيسة قبل ساعة لآداء مراسم القداس . اصفر وجه الضابط ، تلعلم امامي ، العجلات ابتلعت الشوارع بغم سرعتھا ، وضع يده على كتفي واخبرني ان هنالك اراھابين اقتحموا الكنيسة ويرتدون احزمة ناسفة وسيكون الجميع بخير ، لا تقلق ستجري مفاوضات ونقتحم الكنيسة ، ساعتها لا اعرف ماذا حدث لي ، لا اذكر كيف طلعت وجهي وبماذا لكت راسي وبأي طريقة صرخت ، اتصلت ب رومين ولكن لا تجيب علي مكالمتي ، اتصلت ب عفاف ، عمتي ، امي ، جارتنا ام عباس ولكن لا احد يجيب علي اتصالي ، خدت اموت من الصراخ واقطع من الانهيار ، ما ان وصلنا شارع الكنيسة حتى وجدنا القوات الامنية بدأت تحلوط

القصص رواية

القصص رواية

القصص رواية

القصص رواية

المكان ، اصرخ طالباً بدخول الكنيسة لكن الجميع يرفض ، الجنود تنتظر خطة اقتحام الكنيسة من قبل القادة العسكريين ، الوقت يمرّ كما تمرّ مناشير الموت على جسدي ، احد الأشخاص اخبرنا انه يعرف باب صغير خلف الكنيسة لا يعلم به احد ، الربع تحول الي فاس دفان يحفر بوجهي ، اتكلم بطريقة المجانين واصرخ بوجه الجميع ، حينها ركضنا بحذر تام باتجاه الباب الخلفي ، اطلاقات نار ،صوت قتابل بدوية ودخان من داخل الكنيسة ، ذوى صوت انفجار هزّ المكان ، ثوان و ذوى صوت انفجارٍ اخر ، الانتحاريين فجروا انفسهم ، ازيز الرصاص ينخر باذن الهواء ، دخان ، نار ، ذوى انفجار ثالث ، رابع .. جنوني على اهلي لم يبق لي اي وعي ، حاولت النحول بكل ما امك ، اركل الارض ، اصرخ دعوني ادخل ، رومين ، فادي ، ماما ، بابا ، يا مريم العذراء ، اقتحمت القوات الامنية الكنيسة ، دخان يتكاثف ، جدران الكنيسة ملطخة بالدم و اوصال لحم محترقة ، نساء تصرخ ، اعضاء مقطوعة ، ضفيرة انثى لتلھما النار ، رجلا عجوز فقد نصف راسه ، نسوة يركضن وفي وجوهھن شظايا ، صراخ ، موت ، دم ، بابا فادي اين انت ، حبيبي رومين ، ماما ، بابا ، عفاف ، عمتي ام عباس ، ام طه ، لم لا يجيبني احد ، اتفحص الوجوه المحترقة ، احسست انني اشم رائحة امي من هناك ، اقتربت على حفة فوجدتها وبجانها ابي وفي راسه ثلاث رضاصات ، رابت رومين بالقرب من المذبح ، رومين كلميني ، اطلق شيء ، اين فادي ، كانت ترمقني وكانھا تلتظف اخر انفاسھا ، ابتسمت في وجهي ، احتضنتھا ، اين الاسعاف ، تعالوا ، لكنها ماتت على صدري ، اين هو يا ربي ؟ اين فادي يا ربي اين هو اين ؟ وجدت بقربھا زجاجة حمراء ملووة بالدم ، انها زجاجة الحليب الخاصة ب فادي ، بعد هذه اللحظة لم اذكر شيئاً ، اي شيء ، عُشي علي ونقلوني الي المستشفى ، لقد مات الجميع يا بغداد ، ماتت رومين وفادي ، حتى ابي وامي الذين غادروك ماتوا هنا ؛ كانك يا بغداد لا تريدان ان يموت احبابك الا على ارضك كما حيوا عليها ، لكن لماذا لم امت معهم ايضاً يا حبيبي بغداد ؟

نظر لي نظرة ثالثة كادت تقتلني ، وقف على قدميه ، ردد بصوت منخفض : انت وعدتيني اننا سنذهب معاً للكنيسة في المرة القادمة يا رومين ، حتى ان فادي كان في حضانك عندما وعدتيني بهذا ، الا تتذكري يا رومين ، الا تتذكري ؛ لماذا انا وحدي الان لماذا ؟

(1) و(2)العاب شعبية عراقية كان يمارسها الصغار آنذاك



# قسم آخر

زائفة تهذي فوق سقف الطين

الباكية جوعاً

أقسمت عليك ثلاثاً

بالليل وخليط ضباب نجوم

هابطة عنوة

ويكائي من خلف تراب

يتأرجح فوق مياه خانفة

وصمت الدم الكامن في

نوح قاتل

فأنا يا صاحب أشجاني

مخبول في الليل اصيح

وطن متماوج بين بحار الدم

وبعض بقايا رجال

عبروا اليه حفاة

فجالوا في البئر

والقوا فيها الف يوسف

والف جدال

خذني من بلد

يشقنتي كل مساء

دون حبال .

# قسم آخر

لا تستفيقي أنت

دعيهم يشربون خمرمهم من مفترق

نهديك...

ويلعقون اصابع قدميك

ويرسمون تضاريس شهوتهم على

مختلف مناطق جسدك

انا كنت القيصـر المخدوع

وانت.....جاريتي.



وبأصرار قلت لا املك سواك

لا تبيعي وميضاً كان يغشائي وانت

تنامين جنب رغبتى على سرير واحد

هزمتني الرياح ولم تهزم حبي

هدتني عاديات الزمن وكنت ضمام

جروحي.....كنت....اقول كنت!؟

لا اريد ان استفيق من غفلتي

ليعذبني بعدها الندم...

وانا القيصـر...وانت جاريتي

التاريخ يكتبني بالعكس مني

وعيب علي الاعتراف بخيانتك لي

شمس كبريائي اطفأت قناديلھا

وانسحبت خلف تلال جنون عظمتي